التقرير اليومي

2007/9/19

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

مستقبل لبنان (2/2)

(نقاش لموضوع عام)

البروفسور باري روبن: قد لا يكون هناك أي بلد في العالم تلعب القوى الخارجية دوراً رئيسياً كهذا فيه كما يحصل في لبنان. أما وجهة نظري فهي أنّ الأولوية رقم واحد لسوريا هي التخلص من المحكمة، والثانية إستعادة السيطرة على لبنان. يمكننا مناقشة هذا الأمر في مصطلحات إستراتيجية، تاريخية وإيديولوجية، لكن يجب علينا أن لا ننسى المصطلحات الإقتصادية. إنّ قيمة لبنان هو ما صنعه للسياسة السورية الفاشلة لجهة تطوير إقتصاد قابل للعمل.

ولذلك، وإذا كانت سوريا تريد السيطرة على لبنان، فما هي الإستراتيجيات التي تستخدمها؟ لدى سوريا العديد من الأدوات في لبنان، بما فيها حزب الله، عون وعدد من السياسيين المحنكين. وهناك ذخائر لها أيضاً تستخدمها لأعمال عنف، بما فيها حزب الله، الحزب القومي السوري، فتح الإسلام والمخابرات السورية نفسها. أما المقاربة فتقول للبنانيين: "طالما أنّ سوريا لا تلعب دوراً رئيسياً في لبنان، فأنتم لن تعرفوا السلام. فالإغتيالات وأعمال الإرهاب ستُظهر لكم بأنه تحت الجناح السوري فقط، يمكنكم الحصول على الهدوء". أما بالمصطلحات السياسية، فقد قام السوريون فعلاً بالدفع قدماً في دعم حزب الله، وكان ذلك خطأً رئيسياً. ربما كان عليهم التشديد أكثر على سياسيين تقليديين بإمكانهم السيطرة عليهم. فبعد كل شيء، يعتبر الرئيس اللبناني سياسي موالٍ لسوريا. فلو أنهم لعبوا الأمر بتلك الطريقة، لكان بإمكانهم أن يقولوا للبنانيين: "أنظروا، نحن لن نجلب لكم السيطرة الشيعية أو دولة إسلامية تهدد طريقتكم بالحياة أو مصالحكم الإجتماعية". لكن بدلاً من ذلك، أصبح السوريون عالقين في شرك حركة ثورية تعود الى مجتمع واحد بعينه. نعم هناك عون، نعم هناك سياسيين سنة عتيقين، إلا أنهم، بالواقع، علقوا إستراتيجيتهم على فئة واحدة.

فبالنسبة لسوريا، وكذلك حزب الله، يمكن لمحاربة إسرائيل والإستيلاء على لبنان أن تكونا إستراتيجيَتَيْن متعارضتين جداً. فما هو مقدار الإهتمام الخاص الذي تريد سوريا أن توليه للبنان بخصوص تحويله الى نقطة ضغط عسكري ضد إسرائيل؟ لدينا هنا هذه السلسلة المهمة والمثيرة من التطورات على الجبهة الديبلوماسية السورية. فبإستخدامه الوسيلة الديبلوماسية، يمضي النظام السوري الى الأوروبيين والولايات

المتّحدة قائلاً لهم: "نحن سنتحدث حول إستعادة مرتفعات الجولان، لكن إذا كنتم فعلاً تريدون أن ترشوننا (بهدف التخلص من المشكلة)، وإذا لم تكونوا تريدون حرباً أخرى مع إسرائيل أو المشاكل التي نثيرها أمامكم في العراق أو حالة عدم الإستقرار في لبنان، عندها أعطونا أدوار لبنان الرئيسية وبالمقابل تخلصوا من المحكمة. دعونا نعود الى لبنان ونصبح قوة مهيمنة، ومن ثم بإمكاننا القيام بأمور لكم في مجالات أخرى".

وقد رفضت السياسة الأميركية، في الوقت الحاضر، هذا الأمر من أساسه، إلا أنّ الناس يلعبون بفكرة الشراكة. فإذا كان هناك من رئيس ديمقراطي في العام 2009، فمن ذا الذي يريد محاولة القيام بذلك، فنحن سنرى ما الذي سيحدث. لكني لا أعتقد بأنّ الولايات المتّحدة سوف تسلم لبنان الى سوريا. وهذا هو السبب الذي لأجله أعتقد بأنّ المحادثات مع سوريا سوف تنهار في النهاية. فالسوريون ذهبوا الى السعوديين وطالبوا بالكثير في لبنان. أما السعوديون، فلن يقبلوا بذلك. ومن ثم ذهبوا الى الأوروبيين. أما في بعض الحالات، فهناك إشارات تدل على أنهم سيقبلون صفقة كهذه برغم أني، في النهاية، لا أعتقد أنّ شيئاً من هذا القبيل سوف يحدث. لذا، تلعب سوريا على العنف، الديبلوماسية والسياسة اللبنانية الداخلية لتعزيز هيمنتها هناك.

أما بالمصطلحات السياسية، فإن إيران أقل أهمية من سوريا. وقد يكون الدور الإيراني في مساعدة حزب الله من خلال المال والسلاح أكثر أهمية، إلا أنّ المصالح الإيرانية بخصوص لبنان نفسه تعتبر أكثر عمومية. إذ علينا أن لا ننسى مطلقاً بأنّ السيد نصر الله هو الممثل الرسمي للمرشد الأعلى لإيران في لبنان، لكن ماذا تريد إيران من حزب الله أن يفعل في لبنان؟

أخيراً، وفي مناقشتنا للعوامل الخارجية، من الضروري حتماً التساؤل عن نوع الدعم الدولي الذي تملكه الحكومة اللبنانية. فهل سيقف الأوروبيون، وكذلك الأميركيون، مع لبنان لمكافحة النفوذ الإيراني والسوري؟ إنّ الحكومة اللبنانية هي الحليف الأميركي الأكثر إعتماداً في العالم العربي. وبرغم ما يقولونه، لا يُعتبر المصريون والسعوديون مستعدين، إلى هذه الدرجة، للوقوف بوجه النفوذ الإيراني. لكن، وبسبب طبيعة وضعها، ليس لدى الحكومة اللبنانية خيار. إنها على خطوط الجبهة الأمامية وعليها مكافحة هذا النفوذ لتبقى وتستمر. إنّ أهمية الحكومة اللبنانية، ومن وجهة نظر السياسة الأميركية، مهم للغاية. وبإعتقادي، إنها أهمية غير مقدرة كثيراً.

الدكتور بول جورديني: دعوني أبدأ بالقول بأنّ هناك إختلافاً بعيداً ومميزاً بين حزب الله وأمل. فالمجتمع الشيعي ينظر الى حزب الله على أنه واسطة دينية مع إيران، ولديه نوع من المشروعية. أما أمل، فتُعتبر أساساً بأنها أداة سورية ولا شيء أكثر من ذلك. وليس من شك بأنّ نبيه بري كان قادراً على إستخدام موقعه لتوظيف عدد من الشيعة في الحكومة و صفقات الأعمال الكبيرة. فليس هناك من فندق واحد، كازينو، خطوط جوية أو أي شيء آخر لم يكن مجبراً على توظيف وإستخدام موظفين شيعة. إلا أنّ المجتمع الشيعي ككل ليس لديه إحترام كبير لبري.

وبالمقابل، يملك السوريون ثقة كاملة بنبيه بري، لأنه رجلهم. فهم من خلقه، وهم من يستمر بدعمه. إنهم المهندسون للتحالف الإنتخابي بين أمل وحزب الله، هذا التحالف الذي سمح لبري بالحصول على عدد الأصوات الذي حصل عليه. وقد فُرض هذا التحالف على حزب الله. أما السوريون، من جهة أخرى، فلا يثقون بحزب الله، لأنهم يرون أنّ ولاءه هو لإيران أكثر بكثير منه لسوريا.

أما بالنسبة للجيش اللبناني، فقد تماسك معاً في السنوات الأخيرة، لأنّ الجميع في لبنان أرادوا ذلك. وفي اللحظة التي يقرر فيها حزب لبناني مثل حزب الله بأنه لا يهتم إذا ما حصل وتفكك الجيش اللبناني، فإنّ هذا الجيش سوف يتفكك. هكذا بكل بساطة. فالجيش لا يملك التدريب أو التجهيزات للسيطرة على الحدود ووقف تهريب السلاح. إنه ممتد وموزع بين نهر البارد والجنوب وحفظ النظام في بيروت. وليس هناك من مجال لأن يقوم الجيش اللبناني بتولي أمر حزب الله ونزع سلاحه لأنه، وبعيداً عن الإفتقار للإرادة السياسية لفعل ذلك،

سوف يخسر. فالجيش اللبناني لا يدري كيف يقاتل في حرب مكافحة تمرد، فقد إستلزمه شهراً كاملاً للتخلص من 300 جهادي في نهر البارد. لذا، هو لن يكون قادراً على إسقاط معاقل حزب الله.

أما بما يتعلق بإسرائيل وحزب الله، فأنا مقتنع جداً بأنّ إسرائيل لا يمكنها ضرب حزب الله من دون القيام أولاً بتولي أمر سوريا، ونقطة على السطر. فإسرائيل بإمكانها قطع كل المسافة الى بيروت ودفع حزب الله للخلف، وسوف يتراجع حزب الله ويتراجع لينتهي به الأمر في المناطق المسيحية من دون أن يكون لأحد القدرة على وقفها. لكن في النهاية، سيكون على إسرائيل الإنسحاب، وحزب الله سيعود. فالطريقة الوحيدة إذن لتغيير المعادلة في لبنان هي تغيير المعادلة في سوريا. ومن دون ذلك، فإنّ أي حرب مع حزب الله هي حرب خاسرة وهو ما يقلقني. فهذه الحرب ذات نتائج مؤقتة ولا توصل الى اي مكان.

أما الآن، فالكل مقتنع بأنه إذا ما كان هناك إنقلاب في سوريا، فإنّ الإسلاميين السنة هم من سوف يستولي على الحكم. حسناً، ربما الأمر كذلك، لكني مقتنع بأنه إذا كان هناك إنقلاب ناجح في سوريا، فإنه سوف يؤدي الى حرب أهلية في البلاد بين العلويين والسنة، الأمر الذي قد يدوم الى 20 عاماً. وقد يعطي ذلك الوقت اللازم للمنطقة لتنظيم سلام ما فيما بينها في الوقت الذي تجري فيه الحرب في سوريا. لكني لا أرى طريقة يمكن فيها لأي شخص الفوز في لبنان من دون مهاجمة سوريا أولاً، بطريقة أو بأخرى. فأنا لا أرى السوريين يتغيرون. وبحسب ما أرى، وطالما أنّ جورج دبليو بوش موجود في البيت الأبيض، وطالما أنّ هناك 160000 جندي في العراق، فإنّ السوريين سيظلوا يشعرون بخطر التهديد، لذلك فهم سوف يستمرون باللعبة التي يلعبونها.

ولا أعتقد بأنّ لدى الإيرانيين المصالح نفسها التي لدى سوريا في لبنان. وأنا واثق بأنّ آخر شيء يريده الإيرانيون في هذه المرحلة هو دخول حزب الله في حرب أخرى مع إسرائيل، لأنهم يفضلون إبقاء هذه الورقة لوضع آخر تقوم فيه إسرائيل بمهاجمة المواقع النووية في إيران. وعندها، بحسب إعتقادي، سوف يبدأ حزب الله بإطلاق صواريخه على إسرائيل. ولا أعتقد بأنّ الإيرانيين يريدون حرباً مهدورة مرة أخرى، كما كانت حرب الصيف الأخيرة من وجهة نظرهم.

وأنا أقدر كثيراً جهود الحكومة الأميركية في دعم الحكومة اللبنانية، فهو مفيد ويساعد جداً، لكن في النهاية لا أعتقد بأنّ الولايات المتّحدة لديها سياسة تتعلق بمن سيكون رئيساً للبنان وكيف يكون ذلك، رئيساً ليس موالياً لسوريا. ونحن نأمل بطريقة ما بأنّ يكون بإمكان تحالف 14 آذار، بشكل ما، التماسك معاً والخروج بشيء، وأعتقد بأنّ تحالف 14 آذار يرسل إلينا كثيراً من الكلام الفارغ والمتفاخر حول تلك القضية، لأنهم مستمرون بالقول لنا: "إنتظروا حتى منتصف تشرين الثاني، وعندها سوف يستسلم تحالف 8 آذار وسوف ننتخب الشخص الذي نريده". أما لا أرى حزب الله مستسلماً، ولماذا يفعل ذلك؟

الدكتور عمري نير: أنا أعتقد بأنّ معظم الشيعة، حالياً، يعتبرون حزب الله المنصة الأفضل لتعزيز طموحاتهم الإجتماعية والسياسية. نحن شاهدنا ذلك خلال فترة قصيرة جداً من الزمن في فترة السبعينات، حيث إنتقل عدد من الشيعة من دعم الشيوعيين الى دعم أمل، التي كان لديها عناصر دينية شيعية قوية، وكذلك توجه لبناني جداً. وفي خلال بضعة سنوات أخرى، إنتقل معظم هؤلاء لدعم حزب الله، الذي يعتبر، إيديولوجياً، الضد للحزب الشيوعي.

وكان على حزب الله التخفيف من إيديولوجيته الإسلامية من حيث كانت بدايته، أي في منتصف الثمانينات. فبالكاد تجد فارقاً بين تصريح حزب الله الرسمي للشعب اللبناني وبين إيديولوجية أمل التي لم تتغير منذ السبعينات، حول القضايا المحلية، القضايا الفلسطينية الداخلية، وموقفها تجاه إسرائيل، ونقاط أخرى عديدة. وإنتقل حزب الله بإتجاه "اللبننة"، وتبنى معظم إيديولوجية أمل في حين إنتقل معظم المجتمع الشيعي من أمل الى حزب الله. وقد قال البروفسور روبن بانّ لبنان ربما يكون الدولة الأكثر تعطلاً وتعوقاً بسبب القوى الأمنية في

التاريخ الحديث، وهناك سبب لذلك. فالتوازن السياسي يجعل لبنان في وضع يجب أن تكون السلطة المركزية فيه ضعيفة، وإلا لن يكون هناك توازن. ولأنه ضعيف جداً، فإنه يستدعي، بالواقع، التدخل الخارجي.

إنّ العملية التي يصبح فيها الشيعة المجموعة المهيمنة في المجتمع والسياسة اللبنانية أمر يتعذر تجنبه. وفي ضوء هذه الفرضية، فإنّ الطريقة الوحيدة أمام الغرب، الولايات المتّحدة وإسرائيل التي بإمكانهم التأكيد فيها على فرض درجة معينة من السيطرة على هذه العملية الطبيعية هي من خلال سوريا. أما وجه التناقض هنا بالنسبة للأميركيين، وكما قال السيد سميث، فهو أنّ النظام في سوريا سيصبح، في يوم ما، سنياً. وبذلك، فإنّ المفترض بكم المراهنة على نظام لن يكون، في مرحلة ما من المستقبل، موجوداً.

إنّ لبنان هو أيضاً ساحة ميدان في هذا النزاع بين التحدي الإيراني والهيمنة الأميركية. بالإضافة الى ذلك، لبنان متورط في نزاع إقليمي أكبر بين الإسلام الشيعي والسني. ومرة أخرى أقول، تواجه الولايات المتّحدة مأزقاً محيراً هنا. فإذا دعمت السنة، فإنّ عليها التعامل مع حقيقة أنّ معظم الجماعات الإسلامية في المنطقة سنية، وإذا ما ساندت الشيعة، فإن هذا يعني أنها تأخذ جانب إيران. لذا، فإنه ليس خياراً بين الجيد والسيء، وإنما هو خيار بين السيء، والسيء جداً، والسيء جداً جداً.

لي سميث: هذه طريقة مثيرة لختم الحديث، أقصد بين السيء والسيء جداً، لكني أردت التعليق على أمرين في طرح الدكتور نير. فلبنان بلد مهم لسوريا، مهم للعربية السعودية ومهم لإيران. لكن لبنان ليس سوريا ولا السعودية ولا إيران. وهذا هو السبب الذي لأجله يُعتبر لبنان الأمل، بطريقة ما، في المنطقة، برغم ما قاله الدكتور سباير بأنه مسرح لحرب خطيرة جداً. أما إحدى الأمور التي شاهدناها، فهي أنّ الولايات المتّحدة بدأت تدرك ذلك، فبرغم أنها كانت تحاول أن توازن بين المصالح المختلفة، فقد توصلت أخيراً الى التحقق من أنّ الإيرانيين كانوا يحاربون بقوة شديدة على إمتداد المنطقة.

البروفسور باري روبن: بإعتقادي، إنّ النقطة المركزية في هذا النقاش قد ظهرت. فما كان يجب علينا التركيز عليه هو ما إذا كانت الحكومة الحالية ستسقط و يتم إستبدالها بهيمنة حزب الله، سواء كانت هيمنة شديدة أو قليلة. أنا ليست مقتنعاً بأنّ ذلك سوف يحدث. ولست مقتنعاً بأنّ إنتصارهم(حزب الله) حتمي، لكن، وهذا واضح، تعتبر هذه القضية الأهم والأكثر حيوية بالتسبة لصناع السياسة ، لأنه إذا ما أصبح حزب الله العامل الرئيس في الحكومة اللبنانية، فإنّ ذلك سيعني إنتصاراً هائلاً للقوى الراديكالية، إيران، سوريا والإسلاميين.

الدكتور بول جوريدني: باري، أنا أوافق معك. لا أعتقد بأنّ حزب الله سيصبح القوة المهيمنة في السنة أو في السنوات الثلاث أو الأربع المقبلة. ليس هناك من شك بأنه إذا أراد حزب الله الإستيلاء على بيروت، فإنّ بإمكانه القيام بذلك غداً. فـ **60** بالمئة من الجيش اللبناني هم من الشيعة، بعضهم يدينون بتحالفهم وولائهم لحزب الله. وأكثر من ذلك، يملك حزب الله قواته الخاصة ايضاً، بالطبع.

ومع محاولة الإستيلاء على السلطة والإمساك بها، فإنّ ذلك يعني حرباً أهلية مع السنة، المسيحيين والدروز الموحدين معاً في الجانب الآخر. فحتى ميشال عون سيكون عليه التخلي عن حزب الله. فمع وجود حزب الله ممثلاً لمصالح الشيعة في لبنان، فإنه بذلك يحاول الحصول على صوت أقوى في الشؤون اللبنانية، كما يحاول دمج المكاسب التي حصل عليها والتأكد من أنها مقدسة بتفاهم جديد. وأعتقد بأنّ الشيعة سيودون رؤية صيغة سياسية جديدة للبنان: الثلث للشيعة، الثلث للسنة والدروز، والثلث للمسيحيين. وأعتقد بأنّ سوريا تود العودة ولعب دور في ذلك، إلا أنّ سوريا تعلم بأنّ **90** بالمئة من اللبنانيية، بمن فيهم الشيهة، لا يريدون عودتهم الملموسة الى لبنان.

أما ما يقلقني أساساً، فهو أنه عندما نصل الى تشرين الثاني، فإنه لن يكون هناك طريقة للخروج من الأزمة. وهذا بالنسبة لي بداية التقسيم. فأنا قلق جداً من ظهور وكالات أمنية خاصة في كل بيروت وأماكن مسيحية أخرى. هذه بداية ميليشيات. وهناك أيضاً مسألة

وصول الجهاديين من كل العالم العربي، وقد بدأت أقلق من أنه قد تكون إحدى تكتيكات سوريا وحزب الله خلق التقسيم مع عمل الجيش كقوة محايدة مانعاً إياهم (اللبنانيين) من محاربة بعضهم البعض. هذا هو الحل الذي أرى أننا سائرون إليه.

لي سميث: أود القول بضعة أمور سريعة حول دور الشيعة في لبنان. فالدكتور نير يقول بأنه يعتقد بأنه من المحتم، في مرحلة معينة، بانّ يشكل الشيعة الأكثرية ويملون بذلك التوجه المستقبلي للبنان. ليست هذه هي الطريقة التي يعمل بها النظام اللبناني، ولا أعتقد بأنّ اللبنانيين سوف يسمحون بحصول ذلك. فذلك ممنوع بالدستور بالتأكيد. لا ارى هذا سيحصل، لأنّ باقي المجتمع اللبناني لن يسمح به.

يقول الدكتور جوريدني بأنه يعتقد بأن أكثرية الشيعة تريد أن تكون حقوقها في السياسة اللبنانية والمجتمع اللبناني مقدسة، كما كان كل من حزب الله وأمل قد ساعدا في ذلك في السنوات الـ 20 الماضية. ولا أعلم إن كان هذا ما يريده أكثرية الشيعة. أعتقد بان حزب الله يريد إعاقة المحكمة. إنهم يريدون الإعتراض على السلطة.

Research Services Group
www.ipileb.com